"منهج الانتخاب الديمقراطي عند ريموند لول وتطبيقاته المعاصرة"

د. غلاب عليو حمادة عثمان(*)

يعد "ريموند لول"(*) Raymond Lulle (١٢٣٢-١٣١٥م) واحدًا من أهم فلاسفة أوربا في العصور الوسطى، وإن كان أهمهم على الإطلاق، تنوعت اهتماماته في شتى فروع الفلسفة، فقد اهتم بالدين، والسياسة، والأخلاق، والتصوف، والمنطق، ...إلخ. كما احتل مفهوم الانتخاب في الحقل السياسي مكانة مهمة في فلسفته بشكل عام وفلسفته السياسية بشكل خاص. ويعد مفهوم الإنتخاب من أهم المفاهيم التي عوّل عليها؛ لتحقيق مشروع السياسي، فقد اعتقد "لول" إنه عند تطبيق منهجه الانتخابي يمكن انتخاب أفضل قادة مؤسسات النظام العالمي، والتي يأتي على رأسها: المؤسسات الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والعسكرية، ... إلخ؛ لتحقيق العدل والسلام العالمي في اعتقاده. وقد لاقى هذا المنهج اهتمامًا كبيرًا في الفلسفات الحديثة والمعاصرة.

لم يكن "لول" هو أوَّل من اهتم بتطوير إجراءات الانتخاب، بل كانت هناك مساهمات يونانية قبله، ففي "أثينا الديمقراطية" كانت المؤسسات الحاكمة قد مُثلت في ثلاثة هيئات هي: الجمعية العمومية، والمجلس، وهيئات المحلفين؛ فالجمعية العمومية كان اجتماعاتها متاحة لجميع المواطنين، أما المجلس فكان يتم اختياره من قبل أغلبية الشعب وكان يمثل السلطة التنفيذية، وأخيرًا هيئات

(*) مدرس اللاهوت وفلسفة العصور الوسطى – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(*) يعد "ريموند لول" واحدًا من أهم فلاسفة العصور الوسطى الأوربية، وهو فيلسوف إسباني ولد عام ١٢٣٢م في جزيرة مايوركا بإسبانيا، التي كان يقطن بها كثير من اليهود والمسيحيين والمسلمين، وقد نهم لول في باكورة حياته كثير من ملذات الحياة حتى حدث له تحول روحي، إذ رأى رؤية إلهية عام ١٢٦٣م حولته إلى حياته التقوى والإيمان. فقد كرس حياته من أجل إتقان مختلف اللغات، وعلى رأسهم اللغة العربية، كما قام بعديد من الرحلات إلى بلاد غرب أوربا وخاصة فرنسا وإلى بلاد شمال إفريقيا وخاصة تونس والجزائر. كما تأثر بكثير من الفلسفات العربية والإسلامية، وتنوعت موضوعات كتبه، حيث كتب في الفلسفة، واللاهوت، والمنطق، والجدل، والقانون، والسياسة، والنحو، والخطابة، ... إلخ.

المحلفين التي غالبًا ما كان عدد أعضائها يتضمن أعدادًا فردية؛ وذلك لتفادي الروابط والعلاقات التي من الممكن أن توجد بين أعضائها.(١)

أما في "الجمهورية الرومانية" فكان يمثل الانتخاب النظام الأكثر نموًا وتطورًا،(٢) ففي القرن الخامس الميلادي اعتمدت الكنيسة بشكل رسمي على قانون "جستنيان" Justinian، وأخذت تُطبِق مقولته الشهيرة بأن "ما يهم الجميع يجب أن تتم الموافقة عليه بالمثل"، وأيضًا المبدأ الذي ينص على "أن الذي يحكم الجميع يجب أن ينتخب من قبل الجميع"، ولكن في كثير من الأحيان لم يتم التوصل إلى اتفاق بالإجماع من قبل المؤمنين والكهنة والرهبان وفقًا لآليات الاقتراع التي كانت مطبقة آنذاك. الأمر الذي كثيرًا ما أدى إلى إثارة الصراعات والانشقاقات المتكررة.(٣) وعلى الرغم من أن الإنتخاب قد ارتقى في بلاد اليونان وروما، لكن لم يتم إعادة تناوله إلا في أواخر العصور الوسطى. فإذا كان الإنتخاب عند اليونان والرومان مثّلَ آليةً للتعبير عن الأذواق والتفضيلات والرغبات، إلا إنه أصبح في أواخر العصور الوسطى يشكل أحكامًا عامة.(٤)

فقد كانت باكورة المحاولات الكَنِسيَّة لوضع أنظمة انتخابية عام (١١٧٩م)، وذلك عندما وُضعت قاعدتي "الأقل من الإجماع" و"الثُلثين" في نظامها الإنتخابي. ولم تقتصر الكنيسة على تقديم تلك القاعدة فحسب بل قدمت بعد ذلك ثلاث أنظمة انتخابية عام (١٢١٥م)، الأولى، وهي: "قاعدة التزكية" Acclamation؛ أي لا تقل نسبة مشاركة الناخبين عن الثلثين في انتخاب المرشح، والثانية فهي: "قاعدة الحل الوسط" Compromise؛ وتتمثل في

(1) *Iain Mclean, Haldee Lorrey, Josep M. Colomer:* ***Social Choice in Medieval Europe,*** *Electronic Journal for History of Probability and Statistics, Vol 4, no1; June 2008, P.P. 2, 3.*

(2) *Ibid., P. 3.*

(3) *Josep M. Colomer:* ***Ramon Llull: from'Ars electionis' to social choice theory,*** *Soc Choice Welf, 40: 317–328, Springer, 2011, P. 318.*

(4) *Iain Mclean, Haldee Lorrey, Josep M. Colomer:* ***Social Choice in Medieval Europe****, Op. Cit, P. 3.*

نقل عملية الإنتخاب إلى لجنة منتخبين تقرر أيضًا الثلثين، أما الثالثة فهي "قاعدة التدقيق" Scrutiny؛ وتتمثل أنه في حالة عدم وجود قرار واضح، فإن رأي العضو الأكبر سنًا في جمهور الناخبين هو الذي يجب أن يسود. وتم بالفعل إنتخاب البابا آنذاك وفقًا لقاعدة الثلثين، وذلك وفقًا للاجتماع السري للكرادلة عام (١٢٧٦م).(١) وعلى الرغم من كل تلك الأنظمة التي قدمتها الكنيسة إلا إنها لم تكن سوى محاولات بدائية من ناحية وتقليدية من ناحية أخرى في مجال الإنتخاب الكنسي.

ولم يظهر مفهوم متكامل في العالم المسيحي عن "الانتخاب" إلا مع ظهوره في أعمال "لول". وربما لم يكن يعرف أي شيء عن الكتابات اليونانية واللاتينية الخاصة بمفهوم الإنتخاب، لكن بفضل اشتغاله بالثقافة المسيحية والإسلامية، فمن الممكن أن تكون هذه القضية قد نوقشت أثناء العصر الذهبي للثقافة العربية في القرن الثالث عشر الميلادي، ولكن ليس هناك أي دليل يثبت ذلك، إلا إنه من المؤكد أن العصور الوسطى الأوروبية لم تشهد إلا القليل من المناقشات حول مفهومي "الانتخاب" و"الديمقراطية".(٢)

بهذا يُعد "لول" من أوائل الفلاسفة المسيحيين المؤسسين لمفهوم الانتخاب، حيث كان السبب المباشر لكتاباته في تلك الفترة يتمثل فيما حدث في السياق التاريخي من صراعات كانت موجودة في الكنيسة المسيحية آنذاك، والتي كان من ضمن أسبابها الرئيسية الكشف عن آليات انتخاب الأساقفة، ورؤساء الأديرة، وكذلك انتخاب البابا. حيث كانت استراتيجية الانتخاب تقليدية تستند في المقام الأول على "مبدأ الإجماع" The Principle of Unanimity، هذا فضلًا عن أن الانتخاب قد جرى تصوره باعتباره وسيلة للكشف عن إرادة الله من ناحية واكتشاف الحقيقة من ناحية أخرى.(٣) ولا

(1) *Josep M. Colomer:* ***Ramon Llull: from'Ars electionis' to social choice theory,*** *Op. Cit., P. 318.*

(2) *Iain Mclean, Haldee Lorrey, Josep M. Colomer:* ***Social Choice in Medieval Europe****, Op. Cit., P.P. 2, 3.*

(3) *Josep M. Colomer:* ***Ramon Llull: from 'Ars electionis' to social choice theory,*** *Op. Cit., P. 318.*

نندهش عندما نجد المناقشات العقلية الخاصة بمخططات ومشاريع الانتخابات ظهرت أولًا في العصور الوسطى الأوربية، حيث ظهرت نتيجة لتجربة الانشقاق الديني في البابوية، فلم تكن تقتصر الانتخابات على مرشحين اثنين. فكل تدرجات الرهبان والراهبات يقدمون قواعد خاصة بهم من أجل انتخاب رؤسائهم، ولم يكن هناك تدرج أو تسلسل هرمي في اختيار القادة، وهذه هي الحالة التي تناولها "لول".(١)

فقد احتوت كتابات لول التي تعالج انتخاب مسئولي الكنيسة في المجتمعات الثيولوجية على مقترحات مختلفة لاتزال تمثل حتى اليوم مركزًا للمناقشات التي تتعلق بنظرية الانتخاب الاجتماعي Social Choice، وذلك لأن مفهومه كان قد قدم حلولًا معقولة للمعضلات الأساسية التي تواجه أي مجتمع عندما يحاول أن يصمم نظامًا للانتخاب. فقد اقترح في حقيقة الأمر مناهج متعددة لاتزال كل واحد منها يتم معالجته والاستعانة به بشكل أساسي في المناقشات الحالية.(٢)

لقد تناول "لول" مفهومه عن الانتخاب في ثلاثة أعمال هم: العمل الأول وهو جزء لا يتجزأ من رواية "البلانكيرنا" الذي كتبها باللغة الكتالانية منذ عام (١٢٨٢م) إلى (١٢٨٧م) تحت عنوان "بأي طريقة يتم انتخاب ناتانا كرئيسة للراهبات" En quele maniere Natanne fu abaesse، أما العملين الأخرين فهما: "فن الإنتخاب الشخصي"Artificium Electionis Personarum، و"فن الإنتخاب" De Arte Electionsis عام (١٢٩٩م).(٣) **أما بالنسبة لتاريخ اكتشاف هذه المؤلفات؛ فقد كانت رواية**

(1) *Iain Mclean, Haldee Lorrey, Josep M. Colomer:* ***Social Choice in Medieval Europe,*** *Op. Cit., P.P. 10, 11.*

(2) *Salvador Barberà:* ***Llull's Writings on Elections from the Perspective of Today's Research in Social Choice****: an Economist's Viewpoint, In, Alexander Fidora & Carless Sierra (Eds.), Ramon Llull: From the Ars Magna to Artificial Intelligence, Artificial Intelligence Research Institute, IIIA, Barcelona, Spain, 2011, P. 85.*

(3) *Ibid., P. 86.*

"البلانكيرنا" معروفة منذ وقت طويل، أما كتاب "فن الانتخاب الشخصي" فقد اكتشف عام (١٩٥٩م)، وقد اكتشف كتاب "فن الانتخاب" عام (١٩٧٣م).[١] ويمكن تناول مفهوم الانتخاب عند "لول" من خلال وقوفنا على نقطتان هما: تعريف "لول" للانتخاب، ومراحل الانتخاب عنده.

أولًا: مفهوم الإنتخاب عند لول.

تُعد رواية "البلانكيرنا" لـ"لول" أول مساهمة لإرساء مفهوم الإنتخاب في العصور الوسطى الأوربية، وهو جانب مثير للاهتمام.[٢] فقد تناول "لول" مفهومه عن الانتخاب بأسلوب رمزي خلال الحوار الذي دار بين شخصيات الرواية، وبشكل خاص في الفصل الرابع والعشرين منها. ويمكن تلخيصه كالتالي: فعند موت رئيسة دير الراهبات، قررنَّ الراهبات بعض الإجراءات التي سيقُمن بها، والتي كان من أهمها رغبتهن في انتخاب رئيسة لديرهن وفقًا لمنهجهن الانتخابي المعتاد، لكن قالت لَهُنَّ "ناتانا" Natana – إحدى راهبات الدير وزوجة بلانكيرنا- أنها قد سمعت بِمنهج انتخابي جديد، يمكن خلاله العثور على أفضل وأنسب راهبة من بين جميع راهبات الدير لتكون رئيسة لهُنَّ. عِندئذ طلبت جميع الأخوات من "ناتانا" الكشف عن هذا المنهج الانتخابي حتى يتسنى لهن من خلاله العثور على الأخت الأنسب من بينهن لتكون رئيسة لديرهن.[٣] فالانتخاب عند لول وفقًا للـ"بلانكيرنا" يتمثل في "الآلية التي يمكن من خلالها اختيار رئيسة الراهبات".[٤]

([1]) I. McLean: ***The Borda and Condorcet Principles, Three Medieval Applications,*** Social Choice and Welfare © Springer –Verlag, No 7, Oxford, 1990, P. 102.

([2]) *Clark Glymour, Kenneth M. Ford, Patrick J. Hayes:* ***Ramon Lull and the Infidels,*** *Al Magazine, Vol. 19, No. 2, Summer 1998, P. 136.*

([3]) *I. McLean:* ***The Borda and Condorcet Principles,*** *Three Medieval Applications, Op. Cit., P. 100.*

([4]) *Clark Glymour, Kenneth M. Ford & Patrick J. Hayes:* ***Ramon Lull and the Infidels,*** *Op. Cit., P. 136.*

فقد أقام "لول" الانتخاب على افتراض أن جميع أعضاء المجتمع يتفقون على هدف مشترك، آلا وهو اكتشاف الحقيقة إلا أن الاختلاف ينتج بينهم في كيفية إدراكهم لتلك الحقيقة، أي أن آراؤهم تختلف فيما بينهم حول ما تعنيه تلك الحقيقة استنادًا إلى تجاربهم المختلفة. فالانتخاب إذن هو وسيلة للبحث عن الحقيقة خلال السماح للناس بالتعبير عن أرائهم، لذلك، فإن منهج الانتخاب هو الوصول بآراء الناس مجتمعين إلى قرار سليم حول ما تعنيه الحقيقة، وذلك لاختيار أفضل مرشح، والمرشح الفائز سيكون بالضرورة من اختيار الله.(١)

فالانتخاب على وجه الدقة عند لول يمكن أن يعتبر آلية لتقريب التفكير، وذلك لأن فهم البشر ناقص بالنسبة لإرادة الله. حيث إن البشر يختلفون في فهمهم للمسار الصحيح للفعل والعمل، وذلك المسار الذي كثيرًا ما يُحمل خارج إرادة الله، والانتخاب أيضًا هو إجراء ضروري لتجميع الأحكام الفردية غير الكاملة في حكم مجموعة موثوق فيها بشكل كامل، وهو إذن عملية تجميع للمصالح والاهتمامات، أي تجميع الأحكام الإنسانية الناقصة في حكم مجموعة قابل للتحقيق يمكن الاعتماد عليها.(٢) **وبعد أن تعرفنا على تصور "لول" للانتخاب، يجب علينا معرفة مراحله الأساسية.**

(1) *Salvador Barberà:* ***Llull's Writings on Elections from the Perspective of Today's Research in Social Choice:*** *an Economist's Viewpoint, Op. Cit., P. 87.*

(2) *Iain Mclean, Haldee Lorrey, Josep M. Colomer:* ***Social Choice in Medieval Europe,*** *Op. Cit., P.P. 2, 18.*

ثانيًا: مراحل الانتخاب عند لول.

يقوم الانتخاب عند "لول" على مرحلتين، أولهما، "انتخاب هؤلاء اللاتي سَتقُمنَّ بانتخاب رئيسة الدير"، أما ثانيهما فهي: "بأي طريقة سوف يتم انتخاب السبع مرشحات لقائدتهن".[١]

- المرحلة الأولى: انتخاب اللاتي سَتقُمنَّ بانتخاب رئيسة الدير.

تتمثل المرحلة الأولى من الإنتخاب عند "لول" في أن من لديهن حق الإنتخاب عشرين راهبة من أجل اختيار قائدتهن، ويجب أن ينتخب من هؤلاء العشرين عدد فردي، ومن الأفضل أن يكون خمسة أو سبعة، لأن هذان العددان هما الأكثر مناسبة لإجراء الانتخابات من آي عدد أخر، كما أن الرقم سبعة أكثر مناسبة من الرقم خمسة، ويجب على جميع من لهن حق الانتخاب أن يُقسمنّ أولًا على قول الحقيقة، ثم يُطلب من الراهبة الأولى الإفصاح في سرية عن آي الراهبات التسعة عشر أكثر مناسبة لتكون وسط السبع راهبات اللاتي سيقمن بانتخاب الراهبة الأعلى منزلة. وبعد ذلك يُطلب من الراهبة الثانية، ومن الراهبة الثالثة، ومن الراهبة الرابعة، ... إلخ، ويحدث نفس الشيء السابق بشكل منتظم حتى النهاية، وكل إجابة مناسبة لكل راهبة يجب أن تكتب في سرية، ويتم في النهاية معرفة أي الراهبات قد فازت بمعظم هذه الأصوات، وأكثر خمسة أو سبعة راهبات حصلن على أكبر عدد من الأصوات سيقمن بانتخاب رئيسة لهن.[٢] هذا هو تصور لول لمرحلة الانتخاب الأولى، أما المرحلة الثانية فتصورها كالتالي.

- المرحلة الثانية: كيفية انتخاب المرشحات لقائدتهن.

ذهب "لول" إلى أن المرحلة الثانية للإنتخاب تنص على إنه يجب أولاً على الناخِبات السبع الاتفاق على عدد محدد من المرشحات للمفاضلة بينَّهُنَّ في

(1) *Raymond Lulle:* ***Livre d' Evast et de Blanquerne****, texte établi et présenté par Armand Llinarés, Presses Universitaires de France, Paris, 1970, P. 93.*

(2) *Ibid., P.P. 93, 94.*

عملية الانتخاب أو ما يرونه مناسبًا لذلك، ويجب مقارنة بعضهن بالبعض الأخر وفقًا لأربعة شروط:

١) من منهن أكثر حبًا ومعرفة لله؟
٢) من منهن أكثر حبًا ومعرفة للفضائل؟
٣) من منهن أكثر كرهًا ومعرفة للرذائل؟
٤) من منهن أكثر مناسبة من غيرهن؟

وذلك للوصول في النهاية إلى الشخص الأمثل والأكثر ملائمًة، وكل واحدة من هؤلاء السبعة المنتخبون سيختار شخص ليكون هو الرئيس، وكل واحدة من هؤلاء السبعة سيكون ضمن العدد الذي سيتم الاختيار منه الرئيس، ومن الأفضل أن يقسم هؤلاء السبعة إلى مجموعتين، "خمس مرشحات" في مجموعة، و"مرشحتين" في المجموعة الأخرى، وعلى المجموعة المكونة من الخمسة مرشحات أن يقررن أي من المرشحتين المنتميتين للمجموعة الأخرى تصلح للرئاسة، ويتم الاختيار بشكل سري لمن سيحظى بالعديد من الأصوات، وفي النهاية يتم مقارنة أي من الاثنين حصل على أكبر عدد وأقل عدد من الأصوات؛ ليتم المقارنة بين الأولى والثانية.[١]

وبعد ذلك فإن المرشحة التي حصلت على أكبر عدد من الأصوات يتم مقارنتها مع الخمسة الأخريات، أما المرشحة المنهزمة فسيتم ضمها إلى المجموعة الأولى المكونة من خمس مرشحات، وبذلك يصبح عدد المجموعة الأولى ست مرشحات، ثم يتم أخذ مرشحة من بينهن بخلاف المرشحة الخاسرة، وبذلك يعود عدد المجموعة الأولى إلى خمس مرشحات، لتحل محلها في المجموعة الأخرى المكونة من مرشحتان. وينبغي تكرار هذا الإجراء مع كل الأخوات الأخريات،[٢] ليصلن في النهاية إلى الأخت التي تتوافر فيها الشروط الأربعة السابقة لتكون رئيسة لديرهن.

([1]) *Raymond Lulle:* ***Livre d' Evast et de Blanquerne****, Op. Cit., P. 94.*
([2]) *I. McLean:* ***The Borda and Condorcet Principles****: Three Medieval Applications, Op. Cit., P. 101.*

كما ذهب "لول" في البلانكيرنا إلى أنه عند تطبيق هاتين المرحلتين فإن جميع الراهبات يصبحن سعداء بهذا النظام الإنتخابي. وأقروا جميعًا أنهم إذا اتبعوا هذا الإجراء فلا يمكن أن يحدث أي خطأ في انتخاباتهن، وذلك لأنهن اتخذن قول "ناتانا" كقاعدة يَسِرنَّ عليها في منهجهن الإنتخابي. وبعد بضعة أيام قمن بتطبيق ذلك المنهج، وأصبحت "ناتانا" رئيسة للدير.(١) بهذا تكون "ناتانا" قد بينت المنهج الذي يمكن من خلاله إنتخاب الحاكم.(٢)

ولكن هل مفهوم الانتخاب الذي عالجه "لول" في "البلانكيرنا" هو ذاته نفس المفهوم الذي عالجه في كل من: "فن الانتخاب الشخصي" و"فن الانتخاب"؟

لقد اقترح "لول" في كتابه "فن الإنتخاب الشخصي" Artifitium Electionis Personarum، مفهومًا أكثر تفصيلًا مقارنة بما اقترحه في "البلانكيرنا"، فقد وضع نظامًا للانتخاب يستند في المقام الأول على قرارات حكم الأغلبية المطلقة، وفقًا لمقارنات ثنائية تعقد بين جميع المرشحين، وذهب إلى أن الانتخاب يجب أن يصدر خلال عقد عدة جولات للتصويت بواسطة قاعدة الأغلبية التي تضم جميع المرشحين، والمرشح الفائز وفقًا لمبدأ الأغلبية هو الذي يحصل على أكبر عدد من المقارنات الثنائية. وبعبارة "لول": "في كل جولة تصويت أو في كل مقارنة بين اثنين من المرشحين يتم إعطاء نقطة للمرشح، والذي يحصل على أكبر عدد من الأصوات هو الذي يُنتخب".(٣)

ويتضح أن قاعدة "لول" حول "حكم الأغلبية" أكثر فاعلية من قاعدة "الإجماع التقليدية" التي يمكن لكل فرد خلالها الاعتراض على أي قرار فيها. لكن الفائز وفقًا للأغلبية المطلقة مضمون في تلك الإنتخابات التي تُجرى بين اثنين فحسب من المرشحين. ومن أجل تطبيق مبدأ الأغلبية، قامت فكرة "لول"

---

(1) *I. McLean:* ***The Borda and Condorcet Principles****: Three Medieval Applications, Op. Cit, P. 102 .*

(2) *Raymond Lulle:* ***Livre d'Evast et de Blanquerne****, Op. Cit., P. 94.*

(3) *Josep M. Colomer:* ***Ramon Llull: from 'Ars electionis' to social choice theory****, Op. Cit., P.P. 320, 321.*

على الحد من عدد المرشحين، إلى عدد ثنائي خلال إنتاج سلسلة من المقارنات الزوجية، وهذا يضمن عدم نجاح الفائز إلا وفقًا للأغلبية المطلقة في كل مقارنة أو في كل جولة من جولات التصويت. ووفقًا لاقتراح "لول" أن الفائز بقاعدة الأغلبية يجب أن تكون تلك الأغلبية مطلقة. وهو نفس المبدأ الذي أكده في "البلانكيرنا"، بأن الشخص الذي يُنتخب هو الذي يكون لديه أكثر عدد من الأصوات في أكبر عدد من المقارنات.[١] ولكن ما الهدف "لول" الأساسي من وراء طرحه لمفهوم الإنتخاب؟

لقد صرح "لول" في كتابه "فن الإنتخاب" بأن تطبيق نظامه الإنتخابي على الكنيسة المقدسة ضروري للغاية من أجل انتخاب القادة الأكفاء، فمن خلالهم يتسنى للكنيسة أن تحكم وتحارب أعداءها الذين يرتكبون الخطايا سواء كانوا كفارًا أو هراطقة منشقين عنها. وبالفعل، عُقدت الإنتخابات بشكل منتظم في جميع أنحاء أوروبا بشكل عام، وفي برلمان كاتالونيا، وأديرتها، ومجالسها المسيحية بشكل خاص. وقد لاقت هذه الانتخابات استحسانًا جماهيريًا كبيرًا في مراحلها المختلفة. لأن هذه الإنتخابات القائمة على "مبدأ الأغلبية" كانت آنذاك انتخابات مبتكرة للغاية في ذلك الوقت.[٢]

ثالثًا: حضور منهج لول الانتخابي في الفكر الحديث والمعاصر.

فلقد حققت فلسفة "لول" في المجال الانتخابي واحدًا من أعظم الإنجازات عند تطبيقها على القانون الكنسي للكنيسة في أواخر العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة.[٣] ليس هذا فحسب بل كان لها أثرًا قويًا على عديد من الفلاسفة المحدثين والمعاصرين، فقد أثر مفهوم "لول" للانتخاب أثرًا قويًا في فلسفة كل من" "نيكولاس كوزانيوس" Nicolaus Cusanus (١٤٠١-١٤٦٤م) في القرن الخامس عشر، والفيلسوف الفرنسي "كوندروسية"

(1) *Josep M. Colomer:* ***Ramon Llull: from 'Ars electionis' to social choice theory****, Op. Cit., P.P. 320, 321.*
(2) *Ibid.*
(3) *Ibid., P.P. 319, 320.*

Condorcet في القرن الثامن عشر، وعالم الرياضيات الأمريكي "آرثر كوبيلاند" Arthur H. Copeland في القرن العشرين.

١. أثر منهج لول الانتخابي على نيكولاس كوزانيوس.

فيعد "نيكولاس كوزانيوس" من أهم فلاسفة القرن الخامس عشر الذين تأثروا بفكر "لول" بشكل عام، وبمفهومه عن الإنتخاب بشكل خاص. فقد دافع "كوزانيوس" عن حق المجالس في انتخاب البابا‌وات، وكيفية إجرائها، بالإضافة إلى انتخاب الإمبراطور. حيث ناقش "كوزانيوس" في "مجلس كونستانس"[١] Council of Constance - الذي انعقد عام (١٤١٤/١٤١٧م) - ضرورة منع الممارسات غير الشرعية التي كانت تمارس بشكل كبير أثناء إجراء عملية الإنتخاب، وذكر أن الانتخابات كانت قد زورت بالفعل بشكل معيب وبوسائل غير شرعية، وفي ظل معاهدات ومواثيق غير عادلة.[٢]

وقد تابع "كوزانيوس" مفهوم "لول" عن الإنتخاب غير أنه اقترح إجراء انتخابي مختلف، وذلك نظرًا لتزاحم المُنتخبين في أماكن مختلفة من أوربا آنذاك، فضلًا عن الاهتمامات الإقليمية المختلفة لاختيار الإمبراطور. فلقد آمن "لول" بأن إجراء عملية الانتخاب هي الحالة الحقيقية التي تمثل إرادة الله. أما

---

[١] يعد "مجلس كونستانس" Council of Constance (١٤١٤- ١٤١٧م) من أهم المجالس التي طبقت نظرية الانتخاب في العالم المسيحي، حيث عالج الانشقاق الديني العظيم الذي كان موجودا في الكنيسة الغربية منذ عام ١٣٧٨م، وذلك بعد النجاح الذي حققه في اختياره للبابا بواسطة الانتخاب من بين ثلاث تيارات كانت متنافسة في الحصول علي هذا اللقب. وقد أظهر المجلس انحيازاً واضحًا للانتخاب المخطط من أجل ضمان فوز الإيطاليين بالقوة المطلقة للأعضاء، وذلك لأن أغلبية أعضاء المجلس آنذاك كانوا أساقفة من إيطاليا. أنظر:

Iain Mclean, Haldee Lorrey, Josep M. Colomer: ***Social Choice in Medieval Europe,*** *OP. Cit., P. 9.*

(2) *Ibid.*

عند "كوزانيوس" فمن المحتمل أن الناخبين للبابوية هم فحسب الذين يخدمون إرادة الله.[١]

فلقد استخدم "لول" في عملية الإنتخاب "القياس المنطقي"، وقد إنطوى هذا القياس على ثلاثة عناصر على الأقل، هم: المقدمة الكبرى، والمقدمة الصغرى، والنتيجة، وهو الشيء نفسه الذي أقره "كوزانيوس"، حيث ذهب هذا الأخير إلى أن عملية المفاضلة بين الناخبين تقوم في عملية الإنتخاب على ثلاثة عناصر، وهي:

المقدمة الكبرى: إذا كنت أفضل (أ) على (ب)
المقدمة الصغرى: وأفضل أيضًا (ب) على (ج)

النتيجة: إذن إنني أفضل (أ) على (ج)

لذلك انطوى مفهوم "كوزانيوس" عن الانتخاب على مفهوم "المقارنات الزوجية" Pairwise Comparisons تمامًا كما تصورها "لول"، ولكن لم ينطوِ هذا المفهوم على المقارنات الزوجية فحسب، بل أراد كلاهما وضع استراتيجيات جديدة للانتخاب.[٢]

ولم يقف تأثير مفهوم "لول" للانتخاب على فلسفة "كوزانيوس" فحسب بل أصبح مفهومه المرجع الأساسي لثلاثة من المناهج الانتخابية التي استخدمت في القرن الثامن عشر ولا تزال تستخدم في الفترة الراهنة، ويأتي على رأسهم المنهج الانتخابي لـ"كوندروسيه"،[٣] **والمنهج الانتخابي لـ"أرثر**

---

(1) *Ibid., P. 2.*

(2) *Iain Mclean, Haldee Lorrey, Josep M. Colomer:* ***Social Choice in Medieval Europe,*** *OP. Cit., PP. 10, 11.*

(٣) كوندروسية: هو "ماري جان أنطوان نيكولاس كارتي"، والذي يلقب باسم "الماركيز دي كوندروسية" (١٧٤٣-١٧٩٤م)، كان رئيسًا للجمعية الوطنية الثورية الفرنسية، قدم نظاماً مشابهاً بشكل تام لنظام لول الإنتخابي. أنظر:

Josep M. Colomer: ***Ramon Llull: from 'Ars electionis' to social choice theory,*** *Op. Cit., P.P. 320, 321.*

كوبيلاند"، أما المنهج الثالث فيطلق عليه منهج "الإزالة المتتابعة" أو "التخلص المتتابع".[١] وسنوضح تأثير مفهوم لول الانتخابي على كل منهم.
٢. أثر منهج لول الانتخابي على كوندروسيه.

يعد كوندروسيه واحد من أهم فلاسفة القرن الثامن عشر الذين تأثروا تأثرًا عظيمًا بالمنهج الانتخابي عند لول. حيث أن إجراء المنهج الإنتخابي كما عرضه لول في رواية "البلانكيرنا" الذي تكون من مرحلتين، هو تمامًا نفس المنهج الانتخابي الذي طرحه "كوندروسية". وهو أيضًا نفس المنهج الانتخابي الذي طبق في "الولايات المتحدة الفيدرالية" (F. U. S.) بعده بحوالي خمسة قرون من تطبيق "لول" له. وقد جاء هذا التأثر بفعل رغبة "لول" القوية في إيجاد حل وسط بين الديمقراطية، وإعطاء صوت أكثر حسمًا لأفضل الناخبين المؤهلين، وفقًا للشروط الأربعة السابقة الذكر. إدراكًا منه أن المعايير المتعددة في صنع القرار يمكن أن تؤدي إلى صعوبات في تجميع القرارات الفردية.[٢] ولم يقف تأثيره عند "كوندروسية" بل امتد أثره أيضًا إلى "أرثر كوبيلاند"

فقد تم تطوير هذا نظام "لول" الإنتخابي على يد "كوبيلاند" في النصف الثاني من القرن العشرين عام (١٩٥١م)، الذي أقامه على فكرة أن المرشح الفائز هو الذي يحصل على أكبر عدد من النقاط، وهذا النظام لم يقترحه "لول"، بل وضعه "كوزينيوس" بعد قراءته لكتاب "عن فن الانتخاب" لـ"لول".[٣] فمفهوم لول للانتخاب أسس على فكرة "الإنتخاب التزاوجي" كما عالجه في كتابيه "البلانكيرنا" و"فن الإنتخاب الشخصي"، حيث تناول في هذا الكتاب الأخير فكرة الأصوات المتزاوجة، التي تقر بأن الفائز في عملية الانتخاب هو المرشح الذي يحصل على أكبر عدد من الأصوات في جميع

([1]) *Salvador Barberà:* ***Llull's Writings on Elections from the Perspective of Today's,*** *Op. Cit., P. 87.*
([2]) *Iain Mclean, Haldee Lorrey, Josep M. Colomer:* ***Social Choice in Medieval Europe,*** *Op. Cit. P. 6.*
([3]) *Josep M. Colomer:* ***Ramon Llull: from 'Ars electionis' to social choice theory,*** *Op. Cit., P.P. 320, 321.*

الأزواج المتنافسة. وهذا هو المنهج الذي وضعه "كوبيلاند" وأصبح يعرف في عصرنا الحالي باسم "منهج كوبيلاند" Copeland's Method أو "قاعدة كوبيلاند" Copeland's Rule.[١]

أما المنهج الثالث للانتخاب، والذي يستخدم بشكل متكرر في عصرنا الحالي وبشكل خاص في الممارسات البرلمانية، والذي يعرف باسم "منهج الإزالة المتتابعة"، وقد تناوله "لول" في مؤلفه "عن فن الانتخاب"، فهو يتكون من اختيار الفائز بشكل نهائي من خلال القضاء على الإجراءات المتتابعة المؤسسة على الأصوات المتزاوجة، حيث إنه في هذه المرحلة يتخلص بشكل واضح من خسارة المنافس في كل ما يتم في جولات الانتخاب.[٢]

وقد طبقت عديد من أنظمة "لول" الانتخاب كطرق مبتكرة في تحليل بعض نتائج البطولات الرياضية في الوقت الحالي.[٣] حيث قام "أرو" Arrow عام (١٩٥١م)، و"بلاك" Black عام (١٩٥٨م) - وهما اثنان من علماء اللغة الإنجليزية والعلوم الإجتماعية- بتسليط الضوء على النظرية الحديثة في الإنتخاب، وأكد كلاهما أنها بدأت عام (١٩٥٠م)، وذلك خلال إبرازهم لتقنيات "المقارنات الزوجية" التي يمكن أن تطبق على "نظريات الرسم البياني"، وعلى الرغم من ذلك، فالتاريخ المألوف لنظرية الإنتخاب يُقرر أنها بدأت مع كوندروسية في القرن الثامن عشر، وأعيد إحياؤها مرة أخرى على يد "لويس كارول" Lewis Carroll، ولكن أظهر "كوندروسية" أن "لول" قد سبقه في تناول تلك النظرية بحوالي خمسمائة عام، حيث أرسى الدعائم الأولي لنظرية الانتخاب، والتي تناولها في

(1) *Salvador Barberà:* ***Llull's Writings on Elections from the Perspective of Today's,*** *Op. Cit., P. 86.*
(2) *Ibid, P. 87.*
(3) *Josep M. Colomer:* ***Ramon Llull: from 'Ars electionis' to social choice theory****, Op. Cit., P.317.*

"البلانكيرنا" خلال شرح وتوضيح كيفية انتخاب الراهبات لرئيستهن، وأيضًا في مؤلفه "فن الانتخاب".(١)

ويمكن الوقوف على عديد من السمات البارزة حول مفهوم "لول" عن الانتخاب. فالسمة الأولي تتمثل في أسبقية "لول" في مفهومه للانتخاب على كل من: "كوندروسية" و"الفدراليين" بخمسة قرون، وذلك من خلال توَّصُلهِ لحل وسط بين الديمقراطية وإعطاء صوت أكثر حسمًا لأفضل الناخبين المؤهلين. أما السمة الثانية فهي، ضرورة أن تصدر هذه الانتخابات وفقًا لأربعة معايير محددة، إلا أن هذه المعايير ليست واضحة من نص "لول"، إلا أنه أدرك أن هناك صعوبات في تجميع الأوامر الفردية وتحويلها إلى أوامر جماعية. والسمة الثالثة، فتنص علي أن لول يدعو إلى اختيار المرشح الذي يفوز بمعظم الأصوات في مجموع المقارنات المتزاوجة، وهو التفسير الطبيعي لترجمة الجملة (المرشح لكي يُنتّخب يجب أن يحصل على أكبر عدد من الأصوات في معظم الخلايا).(٢)

ونتيجة لما سبق يعد منهج "لول" الإنتخابي هو أول محاولة جادة لوضع نظام قادر على تنفيذ مبدأ الأغلبية في انتخابات حقيقية، فمقترحات الإنتخاب التي وضعها كانت مبتكرة للغاية وخاصة عندما تم تطبيقها على الإنتخابات الديمقراطية في القرن الثامن عشر أثناء الثورة الفرنسية، إلا أن إجراء منهجه الانتخابي ظهر في النصف الثاني من القرن العشرين، واكتشفت وطبقت أعماله الانتخابية التي تقوم على النظام الإنتخابي في غالبية أنحاء العالم.(٣)

---

(1) *Anthony Bonner:* ***What was Llull up to?,*** *In, Miquel Bertran& Miquel Bertran (Eds.),Transformation-Based Reactive Systems Development, Vol. 1231, Springer Berlin Heidelberg, Mallorca, Spain,1997, P. 21.*

(2) *I. McLean:* ***The Borda and Condorcet Principles, Three Medieval Applications,*** *Op. Cit., P. 102.*

(3) *Ibid.*

الخاتمة

وأخيـرًا، فيُعـد "لـول" بحـق واحـد مـن أبـرز الفلاسـفة المسـيحيين المؤسسين لمفهوم الانتخاب بشكل عام، ولمنهج الانتخاب الديمقراطي بشكل خاص في فكر السياسي للعصور الوسطى الأوربية. ذلك العصر الذي كانت فيه السلطة الثيولوجية هي السلطة المطلقة آنذاك، وهى التي تأتي خلال التدرج في المراتب الكنسية فحسب.

يقوم المنهج الانتخابي الديمقراطي عند "لول" على إنتخاب أفضل القادة في الأنظمة الدينية، والسياسية، والاجتماعية. والإنتخاب عنده هو آلية لتقريب التفكير، لأن فهم البشر ناقص بالنسبة لإرادة الله، وهو إجراء ضروري لتجميع الأحكام الفردية في حكم يد مجموعة موثوق فيها. وكان تطبيق مفهوم "لول" للانتخاب على السلطة الكنسيَّة في أواخر العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة، واحدًا من أعظم الإنجازات في المجال الإنتخابي، وخاصة أن الأنظمة الكنسية، ورجال اللاهوت كانوا يحتكرون السلطة آنذاك، وهو ما رفضه "لول" رفضًا تامًا، وبهذا يعد هذا المنهج الانتخابي بمثابة ثورة على الأنظمة التقليدية التي كانت متبعة في اختيار القادة ليس في المنظمة الدينية فحسب لكن أيضًا في كل المنظمات المُكوِنة للعالم المسيحي مثل المنظمات السياسية، والاجتماعية، ...إلخ.

لم يقف تأثير منهج "لول" الانتخابي الديمقراطي على العالم المسيحي الوسيط مثلما تجسد في فكر نيكولاس كوزينيوس فحسب بل كان له أثرًا قويًا على عديد من المناهج الانتخابية التي قدمها عديد من الفلاسفة المحدثين والمعاصرين مثل المنهج الإنتخابي لكوندروسية وآرثر كُوبيلاند، وكذلك المنهج الانتخابي الذى كان مطبقًا في الولايات المتحدة الفيدرالية، فهذين المنهجين كانا متطابقان إلى حد كبير مع منهج لول الإنتخابي الذى وضعه قبلهم بأكثر من خمسة قرون.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر.

1. ***Raymond Lulle: Livre d' Evast et de Blanquerne, texte établi et présenté par Armand Llinarés, Presses Universitaires de France, Paris, 1970.***

ثانيًا: المراجع.

2. ***Anthony Bonner: What was Llull up to?, (P.P. 1:14), In, Miquel Bertran& Miquel Bertran (Eds.), Transformation-Based Reactive Systems Development, Vol. 1231, Springer Berlin Heidelberg, Mallorca, Spain,1997.***

3. ***Clark Glymour & Kenneth M. Ford & Patrick J. Hayes: Ramon Lull and the Infidels, AI Magazine, Vol. 19, No. 2, Summer, 1998.***

4. ***Iain McLean: The Borda and Condorcet Principles, Three Medieval Applications, Social Choice and Welfare © Springer -Verlag No7, Oxford, 1990.***

5. ***Iain Mclean, Haldee Lorrey & Josep M. Colomer: Social Choice in Medieval Europe, Electronic Journal for History of Probability and Statistics, Vol 4, no1, June 2008.***

6. ***Josep M. Colomer: Ramon Llull: from'Ars electionis' to social choice theory, Soc Choice Welf, 40: 317–328, Springer, 2011.***

7. ***Salvador Barberà: Llull's Writings on Elections from the Perspective of Today's Research in Social Choice: an Economist's Viewpoint, In, Alexander Fidora & Carless Sierra (Eds.), Ramon Llull: From the Ars Magna to Artificial Intelligence, Artificial Intelligence Research Institute, IIIA, Barcelona, Spain, 2011.***